الفكر في الحضارة المصرية القديمة

التاريخ

منذ 3315 سنة قبل الميلاد، حققت مصر، في عهد سلالات طينة (أو ثينيس) التي كانت عاصمتها في صعيد مصر، وحدة سياسية من خلال تطوير مؤسساتها الملكية مع الأسرة الأولى والثانية. بعد ذلك توالت الإمبراطوريات الثلاثة تباعا:

أ) الإمبراطورية القديمة(2895-2360) كانت عاصمتها ممفيس (منف=الميناء الطيب) شمالا بالقرب من الجدار الأبيض الذي بناها الملك مينا؛ وهناك نجد أسماء الملوك الذين بنو الأهرامات العظيمة (سنفرو وخوفو وخفرع ومنقرع) الذي ينتمون إلى الأسرة الرابعة. مع الأسرة الخامسة بدأ النظام الملكي يتهاوى وحل محله النظام الإقطاعي.

ب) المملكة الوسطى (2160-1660) تأسست في جنوب طيبة حيث عرفت إعادة بناء الوحدة السياسية في عهد أمنمحات وسنوسريت من الأسرة الثانية عشرة، وتميزت بالنضال ضد الهيكسوس الذين أسسوا مملكة في المرحلة الممتدة بين (1660-1580) والذين تم طردهم فيما بعد.

ج) الإمبراطورية الجديدة (1580-1085) تمثل عصر طيبة الثالث التي شنت غزوات في ظل حكم الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين في إفريقيا وآسيا، تحت حكم تحتمس الثالث، ورمسيس الثاني.

د) مصر الهلنستية الرومانية والبيزنطية:

2 – الفكر المصري:

على امتداد تاريخها القديم وخاصة منذ الألفية الثانية والثالثة قبل المسيح، أبانت مصر عن فكر غني وعميق. سنتحدث أولا عن علمها، ثم بعد ذلك عن فلسفتها الدينية.

أولا: العلم المصري:

أ – علم الفلك: في حوالي عام 3241 قبل الميلاد قام المصريون بإصلاح التقويم حيث قسموا السنة إلى 365 يوما 4/1، والسنة إلى 12 شهرا، واليوم إلى 12 ساعة + 12 ساعة؛ كما عرفوا تسمية الأبراج السماوية بالإضافة إلى درايتهم بالطبيعة النارية للنجوم، وكروية الكون (النجوم والقمر)، والكسوف ودوران

الكواكب؛ وفي هذا المجال كان المصريون متفوقون على شعوب الشرق الأوسط الأخرى التي تصورت الأرض كقرص في وسط محيط شاسع.

ب ــ الرياضيات: لا يخفى على الجميع أن الهندسة ولدت من المسح المصري الذي كان يحدد مناطق فيضان نهر النيل، لكننا كثيرا ما ننسى أنه على هذه المعارف بنى المساحون (علماء الهندسة) اليونانيون مثل طاليس وفيثاغورس وأفلاطون وإراتوستينس وإقليدس تصوراتهم الهندسية؛ حتى أن أفلاطون جعل من الهندسة علم القياس المثالي، حيث كتب على واجهة أكاديميته: "لا أحد يدخل هنا إذا لم يكن عالما في الهندسة". علاوة على ذلك ألف أحد علماء الآثار الحديثين كتابا مهما عن الهرم الأكبر والذي يبدو أنه تم بناؤه بالطريقة التي تكون فيها واجهاته مصوبة إلى القطب المغناطيسي السماوي، بارتفاع يتوافق نسبيا مع المسافة من الأرض إلى الشمس.

ج – الفيزياء: تم تخليص نظرية العناصر الأربعة (الأرض والماء والهواء والنار)، والتي يعد فيها الماء عنصرا أساسيا وضروريا، نظرية عزز من مصداقيتها نهر النيل. فكرة الماء كعنصر أساسي وضروري التقطها فيما بعد طاليس المالطي، حيث اعتبر أن الماء فضلا عن أنه يترل من السماء، فإنه يمنح الحياة للنباتات.

نظرية العناصر الأربعة تناولها فيما بعد أمبادوقليس حيث اعتبر أن اتحاد هذه العناصر علة الحياة أو الحب وانفصالها علة الموت أو الكراهية. في العصور الوسطى بحث الكيميائيون عن الأثير أو الجوهر الخامس، كما بحثوا عن إكسير الحياة. بالنسبة للمصريين في هذا الجانب فقد امتلكوا تقنيات فعالة للحفاظ على المومياوات من خلال دهنها بالأعشاب والمستخلصات المناسبة.

ثانيا – الفلسفة الدينية:

اعتقد المصريين القدماء أن الكائن البشري أو الفرد يتكون من جهاز عضوي يسمونه زيت Zet محله القلب الذي هو منبع الأحاسيس؛ وجزء خارجي يسمى الكا Ka ويمثل شخصية الفرد أو روحه بتصورنا المعاصر. والفلاسفة الحديثون من أفلاطون إلى ديكارت مرورا بابن طفيل كلهم تبنو هذا التصور. لم يقف تصور المصريين عند هذا الحد فقد اعتقدوا أيضا أن هذا الفرد أو الكل الذي يجمع الروح والجسد حال في المانا Mana أو الوعي الجماعي الذي يمنح معنى لأفعاله، هذا المانا هو الذي يمثل مبدأ الفعالية أي الفعل لدى البشر كما الآلهة.

تتألف الطقوس الدينية من اتحاد المومياء أو جسد الموتى (زيت) بروحه الشخصية (الكا) التي انفلتت منه لجعل هذا الجسد غير قابل للفناء؛ وذلك خشية من انحلال الجسد وضياعه، لذلك خمنوا أيضا أن الروح تلعب دور مبدأ الحياة ولكن في هذا السعي للبقاء على قيد الحياة، تم اعادة احياء الجسد بطريقة علاجية حتى لا نقول بطريقة سحرية، ليظهر مرة أخرى كنفس بعد الموت أو البا Ba وكروح سماوي Akh. هذا الارتباط بالسماء يتجلى في عبادة الشمس، وفي اعتبار الفرعون ذاته يتلقى الحكمة من السماء.

اعتقد المصريون القدماء أنهم إذا عاشوا حياة تسودها الأخلاق الطيبة والعدالة، فإن الروح (آكا، با، آخ) سوف تحيا إلى الأبد وتعود إلى الجسد مرة أخرى. ولهذا كان الحفاظ على الجسد من خلال التحنيط أمر بالغ الأهمية. تطور التحنيط على مدي3000عام، وتنوعت أنماطه وفقا لثروة ومكانة المتوفي والأساليب السائدة في كل عصر. كانت عملية التحنيط النموذجية تكون من خلال إزالة المخ وسحبه عبر الأنف واستبداله بمادة الراتينج المذاب وباستصال المعدة والأمعاء والرئتين والكبد عبر شق يفتح في الجانب الأيسر من الجسد وتجفيفها بشكل مستقل ووضعها في أوان تسمي "الأواني الكانوبية" أو إعادتها إلى الجسد. يُغَسّلُ الجسد بعد ذلك بنبيذ النخيل ويجفف بمناشف من الكتان، ثم يدفن في خليط طبيعي من الملح وصودا الخبز المدة 40 يومًا حتي يجف. خلال الثلاثين يوما التالية ينظف الجسد ويعطر. وكانت تقرأ عليه الصلوات ويلف بلفائف من الكتان يُضع داخلها تمائم للحماية، ثم ينقل إلى المقبرة لدفه. بعد وصول المومياء إلى المقبرة يؤدي الكهنة طقس فتح الفم عليها لتستعيد حواسها. ثم توضع المومياء في التوابيت المعدة لها وتدفن. اعتقد المصرين القدماء أن روح المتوفي ستذهب بعد ذلك إلى قاعة المحاكمة، حيث يُوزن القلب الذي ترك في الجسد المحنط من قبل "ماعت "ربة العدالة، فاذا كان القلب أثقل، يلتهم الوحش الأسطوري "عميت" المتوفي ويدمره. وإذا تساو وزن القلب مع ريشة "ماعت" يستقبل أوزريس رب العالم الآخر المتوفى ليعيش إلى الأبد في مصر في صورتها المقدسة والمثالية.